رجّح التقديرات السابقة بأن العملية السياسية في طريقها الى الاحتضار، فان الردّ السوري «الايجابي» على المقترحات الاميركية، كما وصفه المسؤولون الاميركيون، أعاد الزخم الى تلك العملية. فوزير الخارجية الاميركية، بيكر، قال ان رسالة الرئيس الاسد الجوابية «ايجابية»، ولا تتضمّن أي شروط، وانها تشكّل تقدّماً في الموقف السوري، يتجاوز المواقف السورية المعروفة، بالنسبة الى عملية السلام في المنطقة. وأضاف بيكر: «تصفحت الرسالة بسرعة لأنها طويلة جداً، ولكن يبدو لي انه من اللائق وصفها بأنها ايجابية» (**هآرتس**، ١٥/٧/١٩٩١). أمّا الرئيس بوش نفسه، فوصف الردّ السوري بأنه يشكّل «انطلاقة في عملية السلام»، بينما غمز مستشاره لشؤون الأمن القومي، برنت سكوكروفت، من قناة شامير، قائلاً: ان اسرائيل هي الطرف الوحيد الذي ردّ بالسلب على رسالة الرئيس بوش (**معاريف**، ١٩/٧/١٩٩١).

كيف استقبلت اسرائيل الردّ السوري «الايجابي» على المقترحات الاميركية، والاشادة الاميركية بذلك الردّ، كما جاءت في تعقيبات المسؤولين الاميركيين؟

بادىء ذي بدء، كتب المعلّق الصحفي دان افيدان، ان الردّ السوري الايجابي على رسالة الرئيس الاميركي، بوش، التي وجّهها الى الرئيس السوري، الاسد، في مطلع حزيران (يونيو) الماضي، فاجأ الكثير من المراقبين، الذين لم يصدّقوا، لسبب ما، ان الرئيس الأسد مؤهل لابداء مرونة في أي موضوع سياسي له صلة بالنزاع الاسرائيلي ـ العربي (**دافار**، ١٦/٧/١٩٩١).

وأضاف افيدان: «ويبدو ان هذه المفاجأة لن تكون الاخيرة. فالرئيس الأسد سوف يواصل البرهنة على قدر كبير من المناورة. سيتوجب على حكومة شامير مواجهته. ويبدو ان الرئيس الاسد عقد ' صفقة رزمة ' مع الرئيس بوش. فمن ناحية، تنازل للاميركيين في موضوع استمرارية المؤتمر الاقليمي ودور الامم المتحدة فيه؛ ومن ناحية أخرى، وعده الاميركيون بتأييد مطالبته بضرورة انسحاب الجيش الاسرائيلي من المناطق [المحتلة]» (**المصدر نفسه**).

وختم افيدان تحليله للردّ السوري، فكتب: «في هذه المرحلة، لم يبق لنا سوى انتظار ردّ حكومة شامير على الخطوة السورية ـ الاميركية. فمثل هذه الخطوة تحمل في ثناياها أملاً في التوصّل الى تسوية بين اسرائيل والعرب، على أساس السلام مقابل المناطق» (**المصدر نفسه**).

أمّا افتتاحية صحيفة «عل همشمار» (١٨/٧/١٩٩١)، فرأت انه من الصعب على رئيس الحكومة، شامير، ان يتأقلم مع حقيقة ان سوريا ردّت بالايجاب على مقترحات الرئيس بوش. ففي هذه اللحظة بدأ يفتش عن طريق للتهرّب من المفاوضات التي بدأت بمبادرة منه. وأضافت الافتتاحية ان شامير، على ما يبدو، لم يكن يتصوّر، عندما ترك انطباعاً خلال المحادثات مع الوزير بيكر في المرّات السابقة، انه سوف يبدي مرونة في موضوع اشراك ممثّل عن الامم المتحدة في المؤتمر كمراقب، وانه لن يضع عراقيل على طريق عقد المؤتمر مرة ثانية بعد ستة شهور، انه سيضطر الى الوفاء بكل ذلك اعتماداً منه على الرفض السوري، أو الفلسطيني. وتابعت الافتتاحية: «ويتّضح... ان رئيس الحكومة يتلهّى بالوهم بأنه سيصل الى المؤتمر الدولي، بناء على دعوة بوش، كمناورة فقط من أجل الحصول على الضمانات لقروض استيعاب الهجرة بقيمة عشرة مليارات دولار. ولكن، فوراً بعد الانتهاء بيوم ينسف المؤتمر بسبب عدم اعترافه بالممثلين الفلسطينيين الذين سيدعون الى المشاركة في المؤتمر».

على الصعيد الرسمي، كانت ردود الفعل مشوبة بالحذر الذي يشي بالارتباك. فرئيس الحكومة، شامير، امتنع شخصياً عن التعقيب على الردّ السوري. كذلك طلب من وزرائه والمقرّبين منه عدم الردّ على التصريحات الاميركية المتعلّقة بالردّ السوري، «لأن الامر الاخير الذي يبغيه شامير الآن هو الصدام مع واشنطن» (**معاريف**، ١٩/٧/١٩٩١). وبناء عليه، عقّب مكتب شامير على التطوّرات الاخيرة بحذر. ففي بيان صدر عن المكتب، جاء ما يلي: «اذا كان الردّ السوري يمكّن من بدء مفاوضات مباشرة، وثنائية، ودون تدخّل أي طرف خارجي، فاننا سوف نرحّب بذلك، لأن اسرائيل سعت، دائماً وأبداً، الى التفاوض مع الدول العربية» (**دافار**، ١٦/٧/١٩٩١). الى ذلك، لم يخل البيان من التأكيد ان اسرائيل سوف «تتمسّك، بحزم،